

# في الادب المصري القديم

## فنون الشعر الفرعوني

القوائد - القافية - الاوزان - البديع - الجناس

للاستاذ حسن صبحي

مؤلف قصص البردى

## القوائد المصرية

مذ خلق المصريون القدماء لانفسهم الكتابة الهيروغليفية، وهم يكتبون الشعر في صورة غير صورة النثر. يكتبونه مقطوعات مشطرة ثلاثية أو رباعية الشطرات، متقاربة الطول، مرتبطة المعنى، تستقل كل مقطوعة منها بمناسبة، تميز المقطوعة من غيرها، حتى في أقدم صور الشعر، قبل أن يفتن المصريون الى ضرورة فصل الشطرات عن بعضها بنقط حمراء في كتابته للدلالة على الوقف.

وانك لتجد في القصيدة التالية ما يعطيك صورة حقيقية لا قدم اشكال الشعر المصري، وهي منقولة عن الاصل الهيروغليفي:

«أنت تبخر في سفينك العطرى الخشب  
يملاؤه الرجال من المقدمة الى السكان  
فتصل الى مضيفتك العامرة هذه  
التي ابتنيها لنفسك»  
«يملاؤه فك النيزد والخمير  
والخبز واللحم والفطير  
وتذبح الثيران وتفتح الادنان  
وتنشد الاغانى كلها أمامك»  
«يضمحك كبير معطريك بالدهون الزكية  
ويحمل اليك الاكاليل سقاتك  
ويقدم اليك الطيور ناظر فلاحيك  
كما يقدم اليك السمك صيادك»

## القوافي

وليس التشطير والمقطوعات وحدها هي ما تدل على شعرية النظم المصري، وتميزه من النثر، لكن القوافي أيضا تدل عليه وتميزه. ولو أنها من نوع غير الذي نعرفه في شعرنا الحاضر في أية لغة من اللغات. فقد كانت قوافي الشعر المصري قوافي استفتاح، يستهل بها الشاعر ابيات قصيدته، ويكررها في مستهل كل مقطوعة، كما ترى في القصيدة التالية المنقولة عن الهيروغليفية، والمعروفة بقصيدة (جدل المتعب من حياته مع روحه):

يحفظ التاريخ للمصريين القدماء سبق الابتكار في كل ناحية من نواحي المدنية. فزاه يسجل لهم أولوية الصناعة، كما ينعتهم بالزراع الاول، ثم يقص علينا من أنباء بعثاتهم التجارية الى النوبة والى الشام والى العراق ما يمكن لذوى المطامع منهم أن يستبسلوا في الأغارة على هذه البلاد بين حين وحين، وهم اذ ينتصرون يملكون الارض ومن عليها فينشرون من أسباب المدنية بين أهل هذه البلاد ما بقى أثره الى اليوم فيها، سواء كان في أساليب الزراعة أو في طرائق الصناعة أو طرق التجارة، أو كان في اللغة والنحت والتصوير، أو الموسيقى والرقص والشعر، مما بقى أثره لهذا الوقت الحاضر، في روح كل فن أو مهنة أو صناعة تمت للعصر القديم في أى من هذه الاقطار بصلة.

وكما كان المصريون في كل فن الاول، فقد كانوا أيضاً الشعراء الاول لهذا العالم، رأوا وأحبوا ما يحيط بهم من جمال الطبيعة الهادئة، ومناظرها المتكررة الساكنة، فنظموا الشعر وقصدوه في وصف النيل ومجره، وفي مطلع الشمس ومغربها، وفي فضية القمر وشحوبه، وفي خضرة الحقل ووحشة القفار. ثم عاشوا بين أسباب المدنية التي أقاموها فوجد الحب والبغض والحسد والشكر، وقامت الحروب وأقيمت الصلوات، وأحسوا كل هذه الصور في الحياة فقالوا الغزل والحمد، وهجوا واستعدوا، وأشادوا واستهضوا، وكان لابد لقول هذه الصور المختلفة من الحياة من قوالب تصاع فيها، فخلقت القوالب وكانت القوائد والقوافي والاوزان والسجع، وتطور اقتنائهم ورقى فدخلته التباديل، ولعب فيه الجناس اللفظي، ليست هذه كلها أحدث فنون الشعر العصري؟

شوف كم هو بغيض اسمى  
شوف أكثر من رائحة الدود  
في أيام الحر حين تكون السماء ساخنة  
شوف كم هو بغيض اسمى  
شوف أكثر من صيد السمك  
في يوم الصيد حين تكون السماء ساخنة  
شوف كم هو بغيض اسمى  
شوف أكثر من رائحة الطير  
أكثر من مستنقع فيه أوز

الى آخر هذه القصيدة الطويلة التي تبدأ دائماً بـ (شوف كم هو بغيض اسمى) ، وأنا اذ أعرب اللفظ المصرى القديم الى اللفظ الحديث الدارج (شوف) انما أريد أن أعطى القارئ فكرة صحيحة عن معنى اللفظ الاصلى الذى يراد به أكثر من الرؤية بالعين ، ومقصود به أن يلفت نظر القارئ او السامع في تعجب لمبلغ التشبيه من نفسه ، ووقعه فيها . مما تحمله كلمة (شوف) الدارجة التي نستعملها في حديثنا الآن عندما نريد لفت النظر والحس الى التعجب من أمر نهم له .

### الأوزان الشعرية

من النقائص الكبيرة في دراستنا للغة المصريين القدماء ، عدم معرفتنا معرفة أكيدة لنطق الفاظها كما كانوا ينطقونها . وكل ما استطعنا أن نصل اليه في هذا هو النطق الذى احتفظت به اللغة القبطية لالفاظها وهي تأخذها من المصرية فكتبتها بحروف اغريقية ، وتخضعها حتما لاختلافات كثيرة متباينة ، يرجع بعضها لاختلاف نطق اللهجات المصرية بين صعيدى وبحيرى وفيومى وأخمى ، والبعض لاختلاف نطق حروف الكتابة الاغريقية عن المصرية ، والآخر لتدخل كثير من الكلمات الاجنبية في المصرية ، وأخيرا لاضطرار الاقباط الى نحت كثير من الالفاظ الجديدة مما يتفق مع تطور العمران وازدياد مقتضيات الحياة ، واتساع أسبابها .

لهذا كله نعتمد في أوزان الشعر على ما لدينا من الشعر المصرى المتأخر ، الذى كتب في عهد المسيحية ، وبقي لنا باللغة القبطية يعطينا صورة هي أقرب الصور الى الاصل القديم من غيرها .

والثابت الآن من قواعد النحو والصرف في اللغة المصرية القديمة التي أصبحت راجحة التفسير في العصر الحاضر ، ان كل كلمة ذات معنى في اللغة اسما كانت أو فعلا أو صفة — لم تكن تحتوى الا على حرف متحرك واحد شديد الحركة ، واذن فكل شطرة من شطرات الشعر المصرى تحتوى على وقفتين أو ثلاث أو أربع ، هي مواقع الحروف المتحركة الشديدة الحركة ، بينها وهداث متفاوتة الطول والقصر ، تكون الميزان الشعرى للشطر ، وتكون بهذا الوصف ميزانا شعريا مطلقا لم تصل بعد الى ربط صنوفه وتبويبها

واليك مقطوعة من الشعر المصرى المتأخر بنصها القبطى مشار تحت مواضع الحركة الشديدة في شطراتها بخطوط قصيرة ، والى جانبها تعريبها ولم أجد خيراً منها مثلاً لبيان أوزان الشعر المصرى :

النصر المصرى ( بالقبطية ) التعريب

أرشان إرأومى بوك إيشمو رجل آخر يذهب للخارج  
تفراورومى شاف أكتوف أبف إى يدور سنة ثم يعود الى بيته  
أ- أرخيليس بوك إتانزيف لكن أرخيليس ذهب للدرسة  
اس او ميسى إهواينا وأبف هو فكم هي الأيام حتى انظر الى وجهه

### البديع

والشعر المصرى يفيض بالبيان والبديع ، وهو في كل أطواره وعهوده يدل على أن الشاعر المصرى لم يكن يكتفى بالسطر الواحد في المقطوعة ليدل على معنى يريد أن يصوره في صورة بارزة جميلة ، فاكسب بتلك الفصاحة لغته ثوبا أنيقا رقيقا ، صور دقة احساسه بما كان يديه من العبارات للمتشابهة المعنى المختلفة الالفاظ البديعة الاختيار ، التي يقتضى تخييرها نعومة في الذوق ، وعلاوا لا يتفق لكل الناس . فهو يقول حين يتحدث عن « تحوت »

« يستيقظ القاضى - يظهر تحوت »

والقاضى هو تحوت إله الحكمة ثم يقول عن الملك .

« وعندئذ تكلم اصحاب الملك »

واجابوا أمام ربهم »